# فكاهات

## رواية

### غرائب المقدور[1]

بينا خرج الناس في باريز في احد ايام الاعياد يستقبلون اشعة الشمس ويحيّون وجه الطبيعة بعد ان حجبتها الغيوم والضباب اياماً اشتدّ فيها الزمهرير وحبسهم بين جدران المنازل فانتشروا فُرادَى وازواجاً ترويحاً للنفوس واستنشاقاً لنفحات الازهار المنبعثة من خمائل منتزهاتها وهم بين راكبي العربات ومتسلقي الدرّاجات وممتطي صهوات الجياد وقد ساروا على اختلاف طبقاتهم رجالاً ونساءً يؤمّون غابات فرساي ورياضها وعلى وجوههم علائم البشر والمسرات اذا باحدى العربات تسير الهُوَيني وعليها راكبٌ تبدو عليهِ سيماء العظمة وجلالة الشان الاّ انهُ لم يكن يشارك القوم في سرورهم ولا يظهر عليهِ ادنى اهتزاز لذلك المنظر فلم يزل سائراً كذلك بين تلك الجماهير حتى انتهى الى غابة كثيفة على يمين الطريق فعطف اليها ثم استوقف الحوذيّ وترجل عن عربتهِ فسار الى حديقةٍ قد كوّنتها يد الطبيعة على ضفّة جدولٍ يشتقّ من نهر السين وهناك شجرةٌ قديمة العهد فاضطجع في ظلها على الكلأ الناعم وارتفق على يمينهِ وجعل ينظر الى الماء وهو يتقلب في تحدّرهِ على تلك

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني



الحجارة الفضية فيحدث صوتاً يشبه الانين ويبعث الشجو والحنين حتى يخيل للناظر انهُ يردد عن نفسهِ قول الشاعر

جريحٌ باطراف الحصى كلما جرى عليها شكا اوجاعهُ بخريرهِ

وبينا هو كذلك اذ سمع بالقرب منهُ انشاداً رخيماً وصوتاً عذباً استوقف خاطرهُ كالمبهوت فاصغى اليهِ فاذا هو يسمع كلماتٍ في غاية الرقة والحنوّ يزيدها ذلك الصوت الشجي حلاوةً وتأثيراً ثم انقطع ذلك الصوت فجأةً بعد ان شغل قلبهُ واخذ بمجامع حواسهِ فانتظر هنيهةً ولما لم يسمع شيئاً هاجهُ الشوق فنهض وتوجه ناحية الصوت فاذا فتاةٌ في مقتبَل العمر ونضارة الشباب رشيقة القد فتانة الجمال فرفع قبعتهُ اجلالاً لها وانحنى مسلّماً ثم قال هل تأذن سيدتي ان اجالسها ما دمت لا ارى لها مؤنساً في هذه البرية . فقالت لا أحبَّ اليَّ من ذلك اذا لم تجد منهُ مانعاً لكن تأذن لي ان اسألك ان تعرّفني بنفسك وتخبرني لماذا تركت صحبة غادات باريز وشبانها وقصدت هذه الخلوة . قال اما انا فالكنت باسيل شيركوف احد انسباء قيصر الروسية وسفيرهُ لدى امبراطوركم واما انفرادي عن معاشرة من ذكرتِ فسببهُ ما بين دولتنا ودولتكم من الفتور الحالي مما لعلهُ لا يحبّب الى الفرنسويين مخالطتي . وانتِ ايتها السيدة هل لكِ ان تتفضلي عليّ باسمكِ لاخاطبكِ بهِ في اثناء اجتماعنا هذا

فلما قال هذا جعلت الفتاة تحدّق اليهِ بنظرها لانهُ لم تبقَ فتاةٌ في باريز لم تسمع باسم شيركوف ولم تودّ ان تراهُ لما اشتهر عنهُ من لطف المؤانسة ورقة الشمائل ومحاسن الآداب . فقالت لهُ انا فتاةٌ سيئة الطالع فقدت والديَّ طفلةً بعد ان استحوذت الحكومة على اموالهما الطائلة وانزلت

ابي من منصبهِ الرفيع فربيت عند نسيبةٍ لي حتى بلغت الخامسة عشرة من السن فتوفاها الله وتُركتُ في العالم وحدي اقارع الخطوب واعالج الهموم واكدح في كسب معاشي . واما اسمي فسارة دوبرازاك . وكان شيركوف عارفاً باصل هذه الأُسرة وما كانت عليهِ من السؤدد واليسار فلم يتمالك ان انحنى ثانيةً امام تلك الغادة واخذ يجاذبها اطراف الحديث فلبثا يتآنسان ويتغازلان الى ان غربت الشمس او كادت فاستصحبها في عربتهِ حتى بلّغها منزلها ثم ودّعها بعد ان استأذنها في التردد عليها وانصرف

ولم يمضِ بعد ذلك طويل زمن حتى اقترن باسيل بسارة وقد وقعت من قلبهِ موقعاً محموداً ولم يجد من نفسهِ ميلاً الى سواها ولا سكوناً الى غيرها فكان ذلك مدعاةً الى سخط غادات باريز وحسانها لان كلاً منهنَّ كانت تجهد في اغرائهِ بمحاسنها وتمنّي نفسها بالحصول عليهِ فلما ان تحققنَ زواجهُ وعدم اكتراثهِ بما كنَّ يبدينَ لهُ من التقرب انقلب ذلك التودد الى عداء فوقفنَ لهُ بالمرصاد وجعلنَ يترقبنَ فرصةً لتنغيصهِ وطارت اخبار زواجهِ على جناح البرق فبلغت مسامع القيصر في بطرسبرج

وبعد تمام السنة وضعت سارة غلاماً في نهاية الجمال تلوح على محياهُ ملامح الفطنة وسمات الذكاء . وفي ثاني يوم ولادتهِ وردت على ابيهِ رسالة برقية من الامبراطور يستقدمهُ اليهِ في الحال لابلاغهِ اموراً ذات بال . ولما لم يسعهُ الاّ تلبية الامر نهض لساعتهِ يتأهب للرحيل واستحضر سلسلةً من الذهب الخالص ومعها نوطٌ ( مدالية ) قد نقش عليهِ اسم فيليب فعلّقها في عنق وحيدهِ تذكاراً ثم ودّع زوجتهُ بقلبٍ كسير وهو يتلهف على مفارقتها



في مثل تلك الحال ومنّاها بقرب رجوعهِ حالما يفرغ من المهمة التي استدعاهُ لاجلها القيصر واوصاها ان تعتني بولدهِ فيليب ثم سافر تاركاً قلبهُ بين زوجتهِ وولدهِ وهو يتمنى لو امكنهُ قضآء اوامر القيصر والرجوع في ليلةٍ واحدة

ولما مثل شيركوف بين يدي القيصر استقبلهُ بوجهٍ عبوس وقال لهُ لقد قُطعت العلائق بيننا وبين فرنسا فلم يبقَ وجهٌ لبقآئك في باريز وقد استدعيتك اليَّ لتقوم في بلاطي بما هو اهمّ واسمى . فقال ما انا الاّ عبدٌ مطيع لمولاي فمُر بما احببت . قال حسنٌ لكن قل لي هل لكَ من علائق في باريز . قال ليس لي يا مولاي في باريز الاّ زوجتي وولدي الذي فارقتهُ بعد ولادتهِ بيومٍ واحد . قال أوَعلى مسمعي ايضاً تجترئ ان تثبت ما بلغني عنكَ من تعلقك باحدى عواهر فرنسا ومقارنتك لادناهنَّ شرفاً حالة كوني كنت انوي ان اقرنك بالغرندوقة ماريا وتذكر ايضاً ان لك ولداً كانك تحسب ما فعلتهُ مما يخالف رضايَ امراً شرعياً . والآن فاعلم اني لا اعرفك الاّ عزَباً واحظر عليك مزايلة بطرسبرج لحظةً واحدةً وامنعك منعاً باتّاً من قبول رسائل من باريز او ارسال مثلها اليها وان علمتُ انك خالفتني في شيءٍ من ذلك فليس امامك الا سيبيريا فاذهب وانتظر اوامري

فقام باسيل وانصرف من بين يدي الامبراطور ولو ان صاعقةً انقضّت على رأسهِ لكانت اسهل عليهِ من هذا الحكم القاطع والقضآء المبرم الذي لايحتمل مراجعةً ولا تعديلاً فقفل في طريق منزلهِ والدمع ملء عينيهِ وبين صدرهِ ولهاتهِ

غصصٌ تكاد تفيض منها روحهُ ... ويكاد يخرج قلبهُ من صدرهِ

اما سارة فقضت الايام الاولى في القلق والانتظار وكأن قلبها انبأها بشرّ مقبل فارسلت الى باسيل رسالةً تستخبرهُ فيها عن امرهِ وتكررت منها بعد ذلك الرسائل والاستفادات فلم يأتها منهُ جواب ولا وقفت لهُ على خبر لان رسائلها كانت تمزَّق حال وصولها عملاً بامر القيصر . ولبثت على ذلك مدةً الى ان نفد ما لديها من المال واضطرّت الى ان تبيع اثاث المنزل ولما لم يبقَ عندها ما تبيعهُ اخذت تغسل ثياب العسكر فتنال من ذلك ما يكفيها مع الحرص والتقتير لمعاشها ومعاش ولدها

واما فيليب فلما كانت عليهِ والدتهُ من ضيق ذات اليد لم يكن في امكانها ان تجعلهُ في احدى المدارس فكان يتردد معها الى ثُكنة العسكر اوان ذهابها اليها فيرى من مناظرهم وحركاتهم ما أسّس في فطرتهِ الميل الى الجندية وبقي ذلك الميل ينمو فيهِ حتى اذا بلغ الخامسة عشرة من عمرهِ انتظم في سلكها وتخرّج في فنونها فخرج جنديًّا باسلاً ذا منظر ورؤآء . ولم يمضِ على دخولهِ فيها مدةٌ حتى نُدبت فرقتهُ الى الجزائر فسُرّ فيليب سروراً عظيماً لتيقنهِ انهُ سينال في المعارك مقاماً عزيزاً اذ كان لهُ قلبٌ لا يهاب المنية وساعدٌ لا يوهنهُ طول الجلاد . ولما انبأ والدتهُ بذلك اشتدّ عليها واعولت وبكت ولكنها لما لم تجد الى ممانعتهِ سبيلاً اضطرّت الى الصبر والتسليم .

ولما كانت ليلة سفرهِ اخذتهُ اليها وقصّت عليهِ تأريخ ولادتهِ وما مرّ بها من حين تعرُّفها بالكُنت باسيل شيركوف الى تلك الساعة ثم اوصتهُ بما حضرها من الوصايا الوالدية واخذت منهُ عهداً ان يكتب اليها كلما سنحت لهُ الفرص ولبث عندها يتزود من منظرها وتتزود من منظرهِ الى ان حان وقت رجوعهِ



الى المعسكر فودّعها وخرج

وبعد ذلك زحفت الجنود الفرنسوية الى بلاد الجزائر ولم يكن بينها اشدّ قلباً ولا اعظم تشوُّقاً الى خوض المعامع من فيليب فابلى فيها بلآءً حسناً وابدى من الجرأة والاقدام ما أُعجب بهِ جميع قوّاد الجيش فلم يلبث ان زُيّن صدرهُ بالاوسمة وعُيّن قائداً للفرقة التي كان فيها وترامى ذكرهُ في الارجآء الفرنسوية حتى انتهى الى والدتهِ فكان ذلك مما اقرّ عينها وخفف عنها بعض ما تتجرعهُ من المكاره

وفي تلك الاثنآء اتسع الخرق بين دولتي روسيا وفرنسا وأُعلن بالحرب وسارت الجيوش الفرنسوية الى روسيا فاشتبكت مواقع القتال بين الدولتين ولما حمي وطيس الوغى صدر امرٌ من باريز الى القائد فيليب في بلاد الجزائر ان ينضمّ بجيشهِ الى عساكر الفرنسيس في جنوبي روسيا فلبى الامر للحال وركب بابطالهِ البحر بعد ان كتب الى والدتهِ يبشرها بارتقآئهِ وتوجههِ الى روسيا وطن والدهِ ويعدها بالرجوع اليها قريباً بعد انقضآء تلك المواقع

وكان وصولهُ الى روسيا والجيش في اشد الحاجة الى النجدة فاشترك مع القواد في سياسة الحرب وتدبير الجيش وحسر عن ساعد البسالة والاقدام فرافق النصر اعلامهُ واحاط الفوز بركابهِ وتقهقرت امامهُ عساكر الروس الى موسكو وكانت قد واقتها النجدات من بطرسبرج وتوقع الفريقان حدوث معارك هائلة تكون هي الفاصلة بين الجيشين

ولما كان الصباح نفرت تلك الجماهير المدججة بالسلاح وتصافّ الجيشان واصطلت نار الحرب فاشتبك الفريقان وكلٌّ يودّ ان يفوز او يموت .

وكان فيليب يهجم بجوادهِ على اعظم مواقع الخطر ويعرّض صدرهُ للرصاص وتهجم رجالهُ في اثرهِ حتى اخترق صفوف العدوّ وانفرد عن جماعتهِ ورأى القائد الروسي غير بعيد منهُ وهو على جوادهِ يعطي الاوامر لمن تحت يدهِ فانتهز تلك الفرصة وصوَّب مسدَّسهُ الى صدر القائد وقبل ان يطلق النار صاح احد الضباط منبهاً لهُ وقال انتبه ايها القائد شيركوف فان رصاصة هذا الفرنساوي مصوبة الى صدرك

فلما سمع فيليب اسم شيركوف توقف عن اطلاق الرصاص وشعر ببرودةٍ استولت على جسمهِ وخدر المّ بكلتا يديهِ فانزل يدهُ ببطءٍ الى جانبهِ وهو لا يعلم افي يقظةٍ هو ام في منام . ولما انتبه الروسي نظر فرأى فيليب مصوباً سلاحهُ اليهِ ثم رآهُ ينزل يدهُ دون ان يطلق النار غير انهُ لشدة ما اخذهُ من التهيج لم يفطن لذلك الانقلاب ولم يتنبه لاصفرار لون خصمهِ وامتقاع وجههِ ولكنهُ في اسرع من لمح البصر رفع مسدَّسهُ واطلق منهُ رصاصتين اصابتا فيليب فسقط الى الارض مضرجاً بدمائهِ

ولما سقط فيليب تضعضعت عزائم الفرنسيس واستولى عليهم الذعر والفشل وشدّ عليهم الروسيون فاعملوا في ظهورهم النصال ودحروهم الى مسافةٍ بعيدة . ولما انفصل الجيشان اسرعت الضباط للبحث عن قتلاها وجرحاها ومرّ القائد الروسي على الموضع الذي صرع فيهِ القائد الفرنساوي فنظر اليهِ فاذا الدم يتدفق من صدرهِ وتفرس في وجههِ فرآهُ فتىً لم يكد يخطّ عارضهُ فاخذتهُ بهِ رأفةٌ على غير ما يُعهد في مثل هذه الحال وترجّل عن جوادهِ فرفع رأسهُ المعفر بالتراب والقاهُ على صدرهِ ثم اخرج من جعبتهِ زجاجةً



وجرّعهُ منها قليلاً فانتعش وفتح عينيهِ فقال لهُ الروسي لقد اعجبتني شجاعتك ايها الفتى الباسل ولكني اشدّ تعجباً من امساكك عن قتلي حين كان في يدك ان تفعل فلمَ لم تقتلني قبل ان اتمكن من قصف زهرة حياتك . فاجاب فيليب بنفسٍ متقطع وصوتٍ خافت اني مع كل بسالتي في الحروب لم اتمكن من اطلاق الرصاص على صدر والدي

فارتعش شيركوف وصاح على صدر والدك . . وما تعني بهذا الكلام ايها الفتى . فقال ألست انت الكُنت باسيل شيركوف . قال بلى انا هو وانت من انت . قال انا ولدك التعيس فيليب ابن الحزينة سارة دوبرازاك . فصاح شيركوف وهو كالمجنون وهل في استطاعتك ان تثبت لي هذا القول . فقال ليس عندي من البرهان على ذلك اعظم من هذه السلسلة وهذا النوط الذي علّقهُ عليَّ والدي يوم ولادتي وهما لم يفارقا عنقي يوماً واحدًا

فلما رأى شيركوف السلسلة والنوط صاح بصوتٍ اليم وقلبٍ يقطّعهُ الحزن آه يا ولدي آه يا ولدي

ثم ان فيليب تجلد وعاد الى الكلام فقال انا ذاهبٌ عن هذه الارض التي لم ارَ فيها سوى الشقآء ولكن وا اسفا على قلب تلك الوالدة الحزينة حين يبلغها خبري . اما انت يا والدي فلا مسئلة لي عندك الا ان تبعث فتضمّ تلك المسكينة اليك وتلطف بقلبها الكسير وتنقذها مما تقاسيهِ من شظف العيش ومتاعب الحياة وقل لها ان قُصارَى ما كنت ارجوهُ ان اعود اليها بالسعادة والسرور ولكن . . . ثم حرّك شفتيهِ كمن يحاول المنطق فلم يقدر فسقط رأسهُ على صدر والدهِ وفاضت روحهُ

ومن لنا بوصف حالة ذلك الوالد المسكين في تلك الساعة الهائلة وقد استطير فؤادهُ جزعاً والتياعاً واكبّ على ولدهِ يقبلهُ ويغسل الجراح التي نالها من يدهِ بماء جفنيهِ . واجتمع عليهِ كبراء الجيش وقوّادهُ فما منهم الا من بكى لبكائهِ وتفطر فؤادهُ لذلك المشهد الفاجع ونمي خبرهُ الى القيصر فتأثر لهذا الحادث تأثرًا شديداً وامر بدفن جثة فيليب بما يليق بمثلهِ من ابطال المعارك ثم استدعى اباهُ فعزّاهُ بما جبر من فؤادهِ الكسير ثم قال لهُ لئن رُزئت بفقدٍ ولدك لقد نالت المملكة على يدك فوزاً مبيناً فسلني حاجتك تُقضَ في الحال . فقال اعزّ الله مولاي انهُ لم يبقَ لي من حاجةٍ في الدنيا بعد ما ثكلت وحيدي سوى ان لي في البلاد الفرنسوية شريكةً في هذا المصاب لا معزّي لها غيري وقد كان آخر ما تحركت بهِ شفتا ذلك المسكين وهو يجود بنفسهِ الرغبة اليَّ في استقدامها والتلطف في عزائها فان تعطف مولاي الامبراطور فلتكن نعمتهُ عليَّ ان يبيح لي اتمام ما توسل اليَّ فيهِ والا فانا وكل من ينتسب اليَّ فدًى لاقلّ عبيد مولاي . فرقّ الامبراطور لسماعهِ هذه الكلمات وقال قد اجبنا لك ما طلبت ورفعنا رتبتك وشرّفناك بما تستحق بسالتك وحزمك فابعث استقدم زوجتك لتعزّيها وتعزّيك على ما نالتكما بهِ الاقدار وعيشا في كنفي على الرحب والسعة . فخرج من عندهِ شاكراً وبعث الى سارة فوافتهُ الى بطرسبرج وقضيا غابر ايامهما على احسن حالٍ من السعادة لا ينغص عيشهما الا تذكار ولدهما فيليب ولا يلذ لهما من احوال الحياة الا زيارة ضريحهِ كل يومٍ يسقيانهِ بالدموع ويحافظان على ما حولهُ من الازهار ان تبقى نامية واوراقها خضراء



## كذب البصر

قال المعرّي

والنجم تستصغر الابصار صورتهُ والذنب للعين لا للنجم في الصغرِ

قال في الشرح يقول الذنب في استصغار البصر للنجم يُحال على قصور العين وعجزها عن ادراكهِ كما هو عليهِ لا أن النجم في جرمهِ صغير . اه . والصحيح ان لا ذنب للعين في ذلك ولا للنجم وانما الذنب للمسافة التي بين النجم والعين بحيث يستحيل على العين مهما كانت قوتها ان تبصرهُ الاّ كذلك . وبيانهُ ان العين بالقياس الى المرئيات حولها بمنزلة المركز من الدائرة واقطار تلك المرئيات بمنزلة اجزاءٍ من دوائر مرسومة حولها على ابعادٍ مختلفة . ومعلومٌ ان كبر الشبح وصغرهُ متوقفان على قربهِ من العين وبعدهِ عنها لانهُ كلما بَعُدَ قلّ انفراج الزاوية الواصلة منهُ الى العين فقَصُر قطر قاعدتها المرتسمة على الشبكية فيظهر صغيرًا وبعكس ذلك اذا قرب فان تلك الزاوية تنفرج فتتسع قاعدتها ويعظم منظر الشبح وهذا هو السرّ في تعظيم الاشباح بالآلات المكبّرة

ولا بأس ان نزيد هذا الموضع بياناً فنقول انهم قد اصطلحوا ان يقسموا الدائرة الى ٣٦٠ قسماً متساوية يسمونها بالدَرَج وقد وُجد بالاختبار انهُ اذا رُسِم خطٌّ بين مركز الدائرة ومحيطها كان طول ذلك الخط ٥٧ درجة من المحيط وهي قريبٌ من السدس وحينئذٍ فمن البديهيّ ان الخط او الشبح مهما كان قياسهُ اذا بَعُدَ عن المركز او عن نقطةٍ معينة مقدار ٥٧ مرة من